الصين

(عودٌ على ما سبق)

اما تاريخ هذه البلاد فاوائلهُ غامضة على حد تواريخ سائر الامم القديمة والمؤرخون مختلفون في اصل الصينيين فمنهم من ذهب الى ان اصلهم من مصر وان ملوكهم الاولين لم يكونوا الا من ملوك ثيبة وممفيس واستدلّوا على ذلك بما يُرَى من الشبه بين الهيرُغليف المصري والحروف الصينية ومنهم من ذهب الى انهم من ابناء سام بن نوح ارتحلوا من صحارى شنعار بعد تبلبل الالسنة فنزلوا بارض هونان وهي ناحيةٌ باواسط الصين وهو قول بعض المرسلين وهناك اقوال اخر لا فائدة من استقصائها على انهُ مهما يكن من اصلهم فلا شك انهم من اقدم الامم في بلادهم كما تدل على ذلك تواريخهم وشرائعهم وآدابهم مما انفردوا فيهِ عن سائر الامم بالاجمال

وللصينيين تقاليد يتناقلونها بينهم تتسلسل وقائعها منذ ثمانين الف سنة او فوقها وتنتهي الى الانسان الاول واسمهُ عندهم پان كو ولهم في هذه التقاليد احاديث وخرافات غريبة ليس هنا محل ايرادها ولعلنا نأتي على بعضها عند الكلام على مذاهبهم الدينية . واما تاريخهم فاقدم من ذُكر فيهِ الملك فوهي وكان عهدهُ في القرن الثلاثين وقيل التاسع والعشرين قبل الميلاد وهو الذي فرق بين زيّ الرجل وزيّ المرأة واوجب على رعيتهِ سُنَّة الزواج واستنبط فن الموسيقى وعلّم قومهُ صناعة الحديد واخترع الحروف الرمزية التي هي اصل الكتابة عند الصينيين

وخلفهُ على الملك شين نُنغ ومعناهُ الحارث السماوي وهو الذي علّم الصينيين فن الزراعة واخترع لهم بعض آلات الحرث وهو اول من نبه على بعض العقاقير الدوائية . وملك بعدهُ سوان يوان وهو الذي اخترع جميع الصنائع والفنون وميز الرعية طبقاتٍ عيَّن لكل طبقةٍ منها لوناً تلبسهُ وخصّ اللون الاصفر بعشيرة المُلك ولذلك لُقّب بهوَنْغ تي اي الملك الاصفر . وهو الذي قسم الزمن الى ادوار جعل الدور منها ستين سنةً على ما هو اصطلاح الصينيين الى هذا اليوم وهو في مقابلة القرن عند غيرهم وجعل ابتدآء الدور الاول السنة التي ملك فيها وهي سنة ٢٦٣٧ قبل الميلاد وبها يؤرّخ الصينيون وقائعهم

وتولى الملك بعدهُ شاو هاو ولم يكن لهُ عملٌ يُذكَر ثم شوان هيو ومن آثارهِ انشآء الندوة العلمية ثم تي كو وهو اول من ضارّ على امرأتهِ فصار ذلك سنّةً في قومهِ ثم تي تشي وكان سيّئ الاحكام فثار عليهِ رجالهُ وخلعوهُ وملّكوا مكانهُ اخاهُ ياو وبهِ بدأت اشهر حوادث التاريخ عندهم . ولما توفي ياو خلفهُ صهرهُ شون وكان في جملة بطانتهِ رجلٌ حكيم يقال لهُ يو فشاطرهُ الملك في حياتهِ ولما توفي شون استقلّ يو بالملك الا انهُ وجد من ثقل اعباء السياسة ما دعاهُ الى الاقتدآء بسالفهِ ففوّض جانباً من المملكة الى رجلٍ من ثقاتهِ يقال لهُ پاي فكان الامر مشتركاً بينهما الى ان توفي يو فلم يستبدّ پاي بالملك من بعدهِ ولكنهُ نزل عنهُ لابن يو وكان يسمى تي كي ومذ ذاك صار الملك ينتقل في الاعقاب ولم يزل سنّةً في ملوك الصين الى هذا اليوم . وسميت تلك السلالة بالهياوية وهي السلالة الاولى من

ملوكهم واولها يو المذكور وكان ابتدآء ملكهِ سنة ٢٢٠٥ قبل الميلاد واستمرّت سلالتهُ الى سنة ١٧٨٣ . وقامت بعدها السلالة الثانية المعروفة بالشنغيين ورأسها تشنغ تهنغ ولبثت الى سنة ١١٢٢ ثم خلفتها السلالة الثالثة وهي سلالة التشاويين ومن ملوكها تشُنغ وَنغ وهو اول من امر برسم خرائط للصين وفي ايامهِ ضُربت السكة وبدأ الناس يتعاملون بها ودامت هذه السلالة الى سنة ٢٥٥ قبل الميلاد . وفي مدتها كان مولد لوشيوس وكنفوشيوس وهما من اشهر فلاسفة آسيا الشرقية وُلد الاول سنة ٦٠٤ والثاني سنة ٥٥٠ وكلاهما صاحب مذهبٍ من مذاهب الدين عندهم على ما سنذكرهُ

وقامت بعدها السـلالة الرابعة وهي سلالة التسينيين فاستمرّت الى سنة ٢٠٢ ورأس هذه السلالة شي هوَنغ تي وهو الذي بنى السور العظيم المشهور سنة ٢١٤ فصل بهِ بين ارض الصين وارض المغول او بلاد ياجوج وماجوج وهو يحيط بشمالي الصين وغربيها مبتدئاً من شرقيّ باكين على شاطئ البحر حتى ينتهي الى كان سو غرباً وطولهُ ٢٥٠٠ كيلو متر . وهو يقطع انهراً واودية عميقة ويمرّ على جبالٍ شامخة وارتفاعهُ نحو ٣٠ قدماً وعرضهُ ٢٥ قدماً عند اصلهِ و ١٥ قدماً و ٦ قراريط عند اعلاهُ وهو مبنيٌّ من جدارين ضخمين من الآجُرّ بينهما تراب وعليهِ ابراج يختلف سمكها بين ٤٠ و ٥٠ قدماً وبين كل برجٍ وآخر نحو ٢٥٠ قدماً . قيل وكان الذين استُخدموا في بنآئهِ عدة ملايين من الناس بنوهُ في مدة عشر سنين وكان المسيطرون عليهم مئة الف من الجند

وتتابعت الدول بعد ذلك على الصين الى السلالة الحالية وهي الثانية

والعشرون وتُعرَف بسلالة التسنْغِين ورأسها شون تسي واصل هذه السلالة من منشوريا وكان السبب في استيلآئها على الصين ان اثنين من قوّاد هواي تسنْغ آخر ملوك السلالة الحادية والعشرين توثبا على المُلك في خبرٍ طويل الى ان انتزعهُ احدهما واستقرّ لهُ الامر فاستظهر الصينيون عليهِ بالمنشوريين فانجدوهم تحت قيادة ملكهم تسنغ تي وخلعوهُ ثم استبدّ المنشوريون بالملك واستخلف عليهِ تسنغ تي ابنهُ شون تسي المذكور فكان اول ملوك السلالة المنشورية وذلك سنة ١٦٤٤ . والذين ملكوا من هذه السلالة الى اليوم تسعة ملوك آخرهم كوَنْغ سو سُمّي امبراطوراً سنة ١٨٧٥ ثم لم يلبث طويلاً حتى حُجر عليهِ وهو الى اليوم تحت الحجر على ما هو مشهورٌ من امرهِ (١)

---

(١) لا بأس ان نفيض هنا بعض الشيء في الاسباب التي ادّت الى سجن الامبراطور وما يتصل بذلك من مقدمات الحوادث الحالية في الصين التي هي سبب كتابة هذا الفصل . وذلك انهُ في سنة ١٨٤٨ امر الامبراطور هيان فنغ وهو السابع من السلالة الحالية ان تجمع لهُ عشر فتيات من المنشوريات بين سن ١٥ و ١٨ سنة ليختار منهنّ حظيةً لنفسهِ . واتفق قبل ذلك ان كان لاحد اشراف منشوريا ابنةٌ يقال لها تسي آن فاحوجهُ ضيق ذات اليد ان باعها وبيع الولد جائزٌ عندهم فابتاعها احد اغنيآء التجار ولبثت تخدم في منزله عدة سنين . وكانت الفتاة قوية البنية صحيحة الجسم مستجمعة للمعاني المستحبة عند الصينيين فلما شاع امر الامبراطور سألت مولاها ان يجعلها في اللواتي يعرَضنَ عليهِ ففعل ولما مثلت الفتيات العشر بين يدي الامبراطور وقع اختيارهُ عليها فارسلت الى قصرهِ . ولما استقرّ بها المقام اخذت تحبب الى الامبراطورة وتتقرب اليها بدهآئها حتى اذنت لها في ملازمتها فكان ذلك سبباً في اجتماعها بالامبراطور مراراً فشغف بها وفي اثنآء ذلك رُزق منها غلاماً ولم يكن لهُ ولدٌ من الامبراطورة فزادها ذلك حظوةً في عينيهِ وقرباً من قلبه حتى اطلق عليها لقب امبراطورة الغرب

وهو في مقابلة امبراطورة الشرق الذي هو لقب الامبراطورة الشرعية وهذا اللقب يعطى عادةً للحظايا الا ان مقام الامبراطورتين واحد

ولما كانت سنة ١٨٦٠ توفي الامبراطور .وقيل انهُ مات مسموماً نخلفهُ في الملك ابن تسي آن وسمي تنغ تشي وكانت الاحكام في يد الامبراطورتين والامير كنغ عم الولد ٠ وفي سنة ١٨٧٤ كان الامبراطور قد بلغ التاسعة عشرة من سنيهِ لحاول ان يستبدّ بالامر وابرز صفحة المقاومة لوالدته والامبراطورة وعمهِ فاضطربت بسبب ذلك احوال البلاط وفي آخر السنة اعتلّ الامبراطور وتوفي في اوائل سنة ١٨٧٥ وانقطعت من بعدهِ سلالة الملك فرجع حق الارث الى اشراف منشوريا ووقع اختيار تسي آن على ولد من امرآئهم في الرابعة من سنيهِ فعين امبراطوراً وسمي كنغسو وهو الامبراطور الحالي ولبثت ازمة الاحكام في ايدي الثلاثة الذين ذكروا

وفي سنة ١٨٨١ توفيت الامبراطورة نخلا الجوّ لتسي آن واستبدت بالاحكام بلا معارض وكان الامبراطور لين العريكة سهل القياد فاستولت على رأيهِ وجعلتهُ آلةً في يدها الى ان احست منذ بضع سنوات انهُ ينوي الاستقلال بالملك فسجنتهُ في قصرهِ وفرقت احزابهُ ومناصريهِ من اهل البلاط فقتلت بعضاً ونفت بعضاً وهو في اسرها الى هذا اليوم لا يخرج من محبسهِ ولا يصل اليهِ احد

بقي الكلام في الفتنة الحالية وثورة الصينيين على الاجانب وسببها ان الامبراطورة لما رأت امتداد ظل الاجانب في الصين عمدت الى موالاتهم للاستظهار بهم على تأييد سيادتها فقربت سفرآء الدول وعززت موضعهم وكانت تأمر الامبراطور ان يستقبلهم بنفسهِ في بلاط باكين ولم يكن ذلك مألوفاً في الصين من قبل فاهتزَّت اركان مملكة ابن السمآء لما في ذلك من الخرق لحرمة التقليد القديم ثم اذنت لنسآء السفرآء ان يزرنها في البلاط واستقبلتهنَّ استقبالاً حافلاً فزاد ذلك في نفورهم منها وحنقهم عليها حتى خافت على موضعها ولم يبقَ لها ثقةٌ باحدٍ من اهل المملكة لان المنشوريين ناقمون عليها يودّون نزع الامر من يدها وردّهُ الى الامبراطور والصينيين الا افراداً منهم يمقتون السلالة المنشورية ويودّون التخلص منها ليعود الامر اليهم ثم رأت جماعة المسمين بالبكسر وهم اصحاب الجمعية السرية التي اشتهر ذكرها في هذه الايام ناقمين على الاجانب فشدّت سواعدهم على الفتك بهم ليكونوا من جانبها وكان منهم ما كان من الفظائع التي تحملها الينا بُرُد الاخبار والله اعلم ما تكون عاقبة هذه الامور

والبكسر كلمة انكليزية معناها اصحاب الجمع (بالضمّ) وهو الكف المقبوضة وهي ترجمة «آي هو تشوان» بالصينية ومعناها ذوو الجمع المتحدون وفي الصين مئاتٌ من الجمعيات السرية هذه احدثها عهداً الا انها اكثرها انتشاراً حتى ان اعضآءها فيما يقال يعدون بالملايين

الحُبسة وعلاجها

الحُبسة احتباس المنطق وهي والحُكلة والعقلة والرُتّة والتأتأة والفأفأة والتمتمة والتعتعة الفاظٌ مترادفة لكن تُخَصّ التأتأة بمن يتردد في التآء والفأفأة بمن يتردد في الفآء وقيل هي ان يعسر خروج الكلام والتمتمة ردّ الكلام الى التآء والميم وقيل هي ان تسبق الكلمة الى الحنك الاعلى والبواقي تستعمل في مطلق التوقف واعتقال اللسان

وقد سألنا غير واحد من القرآء كتابة ما يسعنا في هذا المقام والاشارة بافضل ما عُونيَ بهِ علاج هذه العاهة وقد عثرنا في ذلك على فصلٍ لاحد اطبآء الفرنسيس فآثرنا تحصيلهُ لعلّ فيهِ تبصرةً او نفعاً قال

الحُبسة كما يعلم عيبٌ في المنطق لا يطّرد على وجهٍ واحد وهي تكون اما بتكرار الحرف الواحد او بتوقف اللسان عند احد الحروف ولا سيما في اول النطق ويصحبها في الحالين حركاتٌ تشنجية في اعضآء النطق وفي عضل الوجه او غيرهِ من الاعضآء وقد يصحبها فيضٌ في اللعاب . وسببها على الغالب ضعف البدن لسوء التغذية او النزع الفجآئي في زمن الطفولة او الارث

وقد اكثروا من الكلام على تقسيم هذه العاهة وانواعها بما يطول

سرده فقسموا انواعها على مقاطع الحروف وقسموا الحروف بهذا الاعتبار الى طوائف كل طائفةٍ منها تختص بنوعٍ من الحُبسة . وسببها على الجملة ان لا يكون اللسان عند ارادة النطق باحد الحروف على الوضع الذي يقتضيه ذلك الحرف كأن يكون منخفضاً حيث يقتضي الارتفاع او بالعكس او يكون منبسطاً حيث يقتضي الانقباض فاذا اراد المتكلم النطق بهِ لم يجرِ على لسانهِ فيحاول ذلك منهُ مرةً بعد اخرى فربما جرى بعد الجهد وربما بقي ممتنعاً عليهِ فبقي اللسان مُعتقَلاً

وجعل دلو الحُبسة ثلاثة انواع وهي اللسانية وسببها عدم موافقة عضل اللسان للحركة الصوتية والثاني الشفَوية وسببها تشنج عضل الوجه والفم والثالث الحُبسة بحدّها ويسميها البكَم وهي التي يحتبس فيها النفَس حتى يمتنع الكلام بتاتاً

والحُبسة قلما تتبين في الصغار لانهم من طبيعتهم لا يُبينون فلا تظهر العاهة فيهم بما يميز المألوف من غيرهِ فاذا بلغوا حد المراهقة او الحلم ازداد ظهورها الى ان تتكامل وهي تكون شديدة او خفيفة تبعاً لحالة اعضآء النطق وتبعاً لاتساع المدارك العقلية وازدياد الحاجات وغلبة الاهوآء ثم تضعف مع السن تبعاً لفتور حدة النفس وتطأمن ثورة الوجدان الى ان تبطل في سن الشيخوخة

والاطباء غير متفقين على سبب الحبسة ولهم في ذلك مذاهب متباعدة نذكر اشهرها واكثرها دوراناً بينهم . فمن مذهب صوڤاج وايتار وماجندي انها تنشأ عن ضعفٍ في عضل النطق وذهب سرّ وكولمبات الى ان مجلسها

في العصب الذي يحرّك تلك العضل وقسماها الى نوعين احدهما يحدث عن تشنج في العضل المكيف للصوت فلا يكون للارادة سلطة على حركات اللسان والشفتين وبهِ تتوقف المقاطع اللسانية والشفوية والثاني يحدث عن توتُّر تشنجي في عضل الصوت والتنفس فيبقى النفس محتبساً وبهِ تتوقف المقاطع الحلقية . وذهب غيرهما الى ان سببها في الدماغ واشهر من قال بهِ روليإي بدليل انها قد تبرأ بعلاجٍ عقليٍّ صرف . وقال آخرون انها تنشأ عن تشنجات عضلية يحدث عنها تارةً شلل في العضل التنفسي وتارةً مجرَّد ارتخاء وضعف في العضل المذكور بحيث يمنع مطاوعة هذا العضل للارادة ولذلك متى توقف التشنج وجرى النفس على حقهِ بطلت الحبسة وجرى النطق من غير توقف

وردّ ملبوش جلّ اسباب الحبسة الى اللسان قال ان الصوت ينشأ في الحنجرة واللسان يكيّفهُ فموضع اللسان من الحنجرة كموضع الاصابع من آلات النفخ وحركتهُ في الفم تحدث شبه ما تحدثهُ الاصابع في الآلة فاذا لم تسدّ الاصابع ثقوب المزمار مثلاً سدّاً محكماً جاءَت الاصوات ملتبسة . واجراء النغم في المزمار يقتضي حركتين احداهما لسدّ ما ينبغي سدّهُ من الثقوب والثانية لتوجيه الصوت الى الموضع الذي ينبغي اجراؤهُ فيهِ وحينئذٍ فلا بد ان يكون اللسان مرتفع الوضع حرّ الحركة ليقوم بالعملين جميعاً . قال وهذا اوضح ما تصوَّر بهِ حالة الحُبسة ومرجعها الى العضو الذي يستخدَم لتكييف الجَرْس الصوتي

وهناك اقوالٌ وتفاصيل أُخر نضرب عنها لطولها وفيما ذُكر منها

كفاية للدلالة على صعوبة تشخيص هذه العاهة . واما علاجها فاقدم ما ذُكر فيهِ ما رواهُ بلوطرخس عن ديمستان الخطيب الشهير من رجال القرن الثالث قبل الميلاد فانهُ مع قوة عارضتهِ وانفساح خطوهِ في صناعة الكلام كان ارتَّ اللسان ولا سيما في مواقف الخطابة فلما ضاق ذرعاً من هذه الحال اعتزل الى بعض الاماكن الخالية بجانب شاطئ البحر وكان يملأُ فاهُ بالحصى ويخطب على الامواج وبعد ان اقام على ذلك مدةً من الدهر استقام نطقهُ وعاد الى قومهِ خطيباً مِصقعاً

واما اصحاب الطب فلم يتعرضوا لعلاج هذه العاهة ولم يتنبهوا لهُ الا من اوائل القرن الثامن عشر فذهبوا في علاجها مذاهب شتى كمذاهبهم في سببها فمنهم من وصف لها حصى ديمستان وفي استعمالها من الصعوبة ما لا يخفى . ومنهم من ارتأى انهُ يكفي فيها تنبُّه المتكلم الى اخراج الكلام برفقٍ مع وجود مرشدٍ يلازمهُ وينبههُ الى ذلك . ووصف لها ايثار القراءَة بالتأني ان كان الارتّ غلاماً وبالتأنق في اللفظ مع الاشارات كما يفعل الخطيب ان كان فوق ذلك وان يراوض نفسهُ بالغناء حتى يعتاد تفخيم الصوت وترقيقهُ بالتدريج . وقال سرّ اذا كانت الحُبسة خفيفة يكفي ان يُلفظ كل مقطع من الكلمة بنبرٍ وسرعة دفعاً للعائق المعترض امام الصوت من توتُّر العضل على ما ذُكر من مذهبهِ واذا كانت شديدة زيد على ذلك تحريك الذراعين او اقتصر على ان يُضرَب باحدى اليدين ضربةٌ شديدة عند اول كل جملة . وارتأى ارنلد انهُ يجب ان تبقى الحنجرة مفتوحة كل مدة التكلم وذلك بأن تُخرَج الكلمة في اثر الكلمة بدون ان تُطبَق

الحنجرة فيكون حال المتكلم اذ ذاك كحال بعض الناس الذين يتكلمون فيمدّون آخر حرفٍ من الكلمة حتى ينطقوا بالتي تليها . ووصف بعضهم ان يهجر صاحب هذه العاهة لغتهُ بمرةٍ واحدة ويتكلم بلغةٍ اجنبية يجهد نفسهُ في تعلمها او ان يحاكي لفظ احد الناس او لفظ اعجميٍّ يتعلم لغتهُ فيقلد عجمتهُ فيها الى ما اشبه ذلك مما يخرج فيهِ عن الطور المألوف الى التكلف حتى يكون كلامهُ صناعياً ويُضطرّ فيهِ الى التنبه عند كل مقطع

وهناك ضروبٌ أُخر من العلاج لم يخرجوا فيها عن مثل ما ذُكر حتى قام ديفنباخ في اواسط هذا القرن وهو من مشاهير الجراحين في برلين فارتأى ان يعالج الحُبسة بالعمل الجراحي على اللسان وذلك انهُ جاءهُ يوماً رجلٌ احوَل يسألهُ ان يعالج حوَلتهُ وكان يكلمهُ بلسانٍ ارتّ فتنبه الى الاشتراك بين هاتين الحالتين ومذ ذاك اخذ يراقب اصحاب الحُبسة فوجد اكثرهم حُولاً وكان غالب حوَلهم عن تشنج . فبدا لهُ ان هذا الخلل في اعضاء النطق لا بدّ ان يكون حادثاً عن حالةٍ تشنجية في الآلات الصوتية وان منشأها على الغالب في الحلق ومنهُ تمتدّ الى اللسان وعضل الوجه وقد تمتد الى عضل العنق ايضاً . ولمنع هذا التأثير العصبي عن الاعضاء المشاركة في هذا الخلل وجد انهُ لا بدّ من التذرع الى ازالتهِ رأساً وحينئذٍ خطر لهُ ان يشرط عضل اللسان شرطاً افقياً قياساً على بعض التأثيرات العصبية التي تعالج عادةً بشرط العضل على الوجه المذكور . ولما وُفق الى بعض النجاح في هذه الطريقة اقتدى بهِ غيرهُ من اطباء فرنسا وانكلترا وزادوا عليهِ استئصال اللهزمتين واللهاة الا ان الذي تحقق اخيراً ان هذه الطريقة

ايضاً لا يطّرد الشفآء فيها بل قد تؤدي الى عواقب رديئة

وجملة الامر ان استئصال هذه العاهة من اصعب الامور مزاولةً وغاية ما يمكن فيها اصلاح شيء من حال المصاب بها وآخر ما ذكروا ان افضل ما تعالج بهِ الرياضة المقوية لكن ينبغي ان لا يُغفَل انها اذا توقفت مرةً فلا يؤمن عودها عند اهمال الذريعة التي كانت سبب توقفها والله الشافي

الآبار الارتوازية

هي الآبار ذات المآء المَعِين اي الجاري على وجه الارض والارتوازية كلمة افرنجية اطلقوها على هذه الآبار نسبةً الى ايالة ارتواز من الاعمال الفرنساوية لانها اول ما عُرفت هناك . على انها كانت معروفةً قبل ذلك بعهدٍ عهيد واول من تكلم عليها ديودورس اسقف طرسوس المتوفى سنة ٣٩٠ عند ذكرهِ الواحات المصرية وورد ذكرها بعد ذلك في كلام اولمبيادور الاسكندري من اهل القرن الخامس وهو ممن وُلد ونشأ في الواحة الكبرى وذكر ان عمقها ١٨٠ وقيل ٢٣٠ متراً قال وكانت تقذف قطعاً من السمك او اسماكاً كاملة . على ان هذه الواحة مشهورةٌ بالخصب منذ زمن مديد ولها ذكرٌ في تصانيف اقدم المؤرخين وعليهِ فيكون عهد هذه الآبار فيها على الاقلّ منذ القرن الرابع قبل الميلاد . وممن استعمل الآبار الارتوازية قديماً اهل الصين وفارس وقيل كانت مستعملةً في البلاد الشامية واما في اوربا فالظاهر ان اول ما عُرف منها في ايطاليا وكان منها في سائر

اوربا آبارٌ معدودة الا انهم لم يتنبهوا لها في الازمنة الاخيرة الا منذ اوائل هذا القرن

وماء هذه الآبار ينبط من طبقات الارض السفلى يُفضَى اليها بتنّورٍ يبلغ عمقهُ مئاتٍ من الامتار فيصعد المآء فيهِ عموداً حتى يبلغ وجه الارض وهو يكون على الغالب فوّاراً غزيراً يسقي اراضي واسعة . وقد اطال العلمآء من البحث عن اصل هذا المآء وافترقوا على مذاهب اصحها ما تقرّر آخراً من انهُ لا يعدو مآء سائر الآبار والينابيع التي يتجمع مآؤها عن الامطار والسيول والثلوج الذائبة بما يترشح منها في خلال الطبقات الصخرية . وذلك ان الاراضي الرسوبية تتألف من طبقاتٍ متراصفة يتخللها رمالٌ واتربة وهذه الطبقات قد تكون افقية وقد تكون مائلة وهي اذا انتهت الى سفوح الجبال فكثيراً ما تنفصل اطرافها وتتشقق فيكون هناك منفذٌ للمياه السطحية الى باطن الارض فتملأُ ما بين الطبقات الصلبة وتكون فيها اشبه بالمآء في داخل قناةٍ مملوءَة بحيث ان اعلاها يضغط على اسفلها فاذا افضى الى موضعٍ منها خرقٌ يتصل بسطح الارض طبيعياً كان او صناعياً ارتفعت المياه فيهِ حتى توازي اعلى موضعٍ من مجتمعها على ما هو معلوم من طبيعة السائلات ولذلك فمن الآبار الارتوازية ما ينشب مآؤهُ صُعُداً ويرتفع عدة امتار عن سطح الارض . على ان منها ما يتدفق مآؤهُ في وسط صحارى متسعة الاطراف لا يُرَى حولها شيءٌ من الجبال وسببهُ ان منابع مآئها تكون على بعدٍ شاسع لا تنكشف منهُ للنظر وقد تكون على مئة كيلومتر او فوقها . والطبقات المذكورة قد تكون متعددة فربما خرقت البئر طبقتين منها فاكثر

فيصعد مآؤها بغزارةٍ شديدة ويجتمع بعضهُ الى بعض فيكون سيحاً عظيماً يجري على وجه الصحرآء

وكانوا قديماً يحفرون هذه الآبار بالمعاول ويرفعون ترابها بالدلآء على حد سائر الآبار المألوفة وكذلك كانوا يفعلون الى عهدٍ قريب في نواحي الجزائر وتونس من اراضي افريقيا وفي ذلك من العنآء والمشقة ما لا يخفى فضلاً عما فيهِ من الخطر وتلف كثيرٍ من العاملين. وذلك ان مساحة قعر البئر لا تتجاوز متراً مربعاً فكان يُقضى على العامل ان ينحني في هذه الفسحة الصغيرة مكباً على حفر التراب ونقر الصخر وهو بين نضح المياه وخطر الانهيال ولذلك لم يكن يبقى اكثر من ساعة ثم يُرفَع. وكان اعظم الخطر على العامل اذا بلغ الصخر الذي يجري تحتهُ معظم المآء فكثيراً ما يكون المآء شديد الاحتباس لما يكون عليهِ من الضغط فاذا ضرب الصخر بمعولهِ فقد ينفجر المآء بشدّة فينقلب العامل ويختنق قبل ان يتمكن اصحابهُ من رفعهِ

وقد اصبح الامر اليوم اسهل من ذلك كثيراً بما اخترع لهُ من الآلات فانهم يثقبون الارض بشبه لولبٍ من الحديد فيبلغون اعظم عمقٍ يريدونهُ في بضعة عشر الى عشرين يوماً. وهذا اللولب مؤلفٌ من قطعٍ كثيرة في طرفي كلّ منها شُعَبٌ تتداخل مع اطراف القِطَع الاخرى وتتصل بها ويدار بآلاتٍ قائمة على وجه الارض بحيث انهُ كلما غاص في الارض زادوهُ قطعةً اخرى من اعلاهُ حتى يبلغ العمق المطلوب ولهُ فراشٌ مختلف لاخراج الموادّ المحفورة وحفر الموادّ الصلبة في تفصيلٍ لا محل لهُ هنا. وعمق البئر يبلغ تارةً الى ما يزيد على ٣٠٠ متر الى ٦٠٠ وقطرها ما بين

١٨ الى ٢٠ سنتيمتراً ويقال انهم حفروا في مدينة پست بالمجر بئراً عمقها ١٢٠٠ متر وهي اعمق بئرٍ في الارض

ومقدار الماء الذي يخرج من هذه الآبار يتفاوت تبعاً لقطر الثقب وعمق البئر وسهولة جري الماء في جوف الارض ومن الآبار ما يجري منها الفان الى اربعة آلاف لتر في الدقيقة . وحرارة المياه الارتوازية تكون دائماً اعلى من معدَّل الحرارة السطحية وهي تزداد مع ازدياد العمق وقد قدَّر أراغو أنها تزداد درجةً في كل ٢٠ الى ٣٠ متراً من العمق وعند خروجها تكون على نفس الدرجة التي لها في باطن الارض . وهي فضلاً عن سقي الاراضي كثيراً ما تُستخدَم في المعامل الصناعية لتحريك الآلات ولا سيما في البلاد الباردة لانها مع غزارتها تلزم درجةً من الحرارة لا تتغيَّر صيفاً وشتاء فيستحبّ استخدامها في المعامل التي تدور دواليبها بالماء كالطواحين او التي لا تستغني عن الماء الجاري كمعامل الورق ونحوها لان غيرها من المياه يتجمد بشدة البرد فيُستوقَف العمل

وبناء على سهولة حفر هذه الآبار فقد اخذوا يكثرون منها في النواحي القاحلة ذات الصحاري الهامدة والرمال المحرقة كجنوبي الجزائر وبعض الاراضي التونسية فكان عنها خصبٌ عجيب وتغيرت بسببها طبيعة الارض والهواء فانتشر فيها النخيل وسائر انواع الشجر كغابات الصنوبر والطرفاء والسنط واليوكالبتس والحور وغير ذلك . وذكر بعضهم ان الاهالي ايضاً ازدادت بهذا السبب فصاروا في بعض المواضع في مدة ثلاثين سنة ضعفي ما كانوا عليهِ او اكثر

وبقيت لهذه الآبار فائدةٌ اخرى وهي انهم قد يستخدمونها لتجفيف الاراضي المستنقعة اذا كان ظاهرها من التربة الدلغانية التي لا يخرقها المآء فيثقبون فيها الى ان يبلغوا طبقة من التراب تتشرّب المآء فتجفّ شيئاً فشيئاً الى ان تعود صالحةً للزراعة وهي الطريقة المستعملة في ارباض باريز حيث توجد هذه المستنقعات ويُذكَر عن مستنقع في بوندي انهُ ينصرف عنهُ بهذه الطريقة كل يوم مئة متر مكعب من المآء

النور الاسود

ما كاد الاستاذ رنتجن يذيع خبر اكتشافهِ للاشعة المنسوبة اليهِ حتى اعلن احد علمآء الفرنسيس المسمى غستاف لبون انهُ قد وُفّق الى اكتشاف ضربٍ من الاشعة يُظهر بهِ الاشباح الخفية ولو كانت مستترة ورآء اكثف الحجب واشدّها امتناعاً من نفوذ اشعة النور وذلك بدون انبوبة كروك وبدون مجرًى كهربائي ولكن بواسطة مصباحٍ من البترول يستعملهُ مجرَّداً

وذلك انهُ قد ظهر لهُ ان في كل مصدرٍ ضوئيّ خلا ما نراهُ من الاشعة اللامعة اشعةً مظلمة لا تدركها العين في الحال المعتادة وفي هذه الاشعة من القوّة على نفوذ الاجسام ما تماثل بهِ اشعة رنتجن بحيث انها من ورآء اي حاجزٍ كان تؤثر في الصفيحة الفوتغرافية وترسم عليها الاشباح المحجوبة فتظهر للعين على تمام الجلآء

وقد اجرى في ذلك عدة امتحاناتٍ منها انهُ اتخذ علبةً من صفائح الحديد مقفلة من جميع جوانبها ووضع فيها مصباحاً من البترول والصق على

احد جوانبها قطعة من الورق الاسود لا يمكن ان ينفذها شيءٌ من الاشعة المنظورة وجعل هذه العلبة في مكانٍ حالك الظلمة ثم وضع على مسافةٍ منها الى جهة الجانب الذي عليهِ الورقة السوداء علبةً اخرى من المقوّي قد وُضع فيها شيءٌ من القطع المعدنية كمفتاح او شيء من الحلى ثم جعل وراء هذه العلبة الاخرى في الجهة المقابلة للجانب الذي يلي العلبة الاولى دريئةً اي صفيحة معترضة من كبريتور الزنك المحسَّس فلم تلبث ان ظهرت على هذه الدريئة صورة القطع الموضوعة في العلبة مرسومةً رسماً نيّراً

وبيّنَ ان هذا الرسم حدث عن اشعةٍ هي غير الاشعة الضوئية المحجوبة في داخل العلبة وانما هي اشعةٌ غير محسوسة قد نفذت علبتي الحديد والمقوّي والورق الاسود الذي بينهما واثرت في المادّة الكيموية الحساسة التي على كبريتور الزنك تأثير الاشعة الضوئية فهي من هذا القبيل اشبه باشعة رنتجن الا انها بدون ريب اشعةٌ اخرى

وبتكرار الامتحان تبين لهُ ان هذه الاشعّة تنفذ جميع الاجسام مهما كانت ثخانتها ما خلا مادةً واحدة وهي سواد المداخن المعروف بالسناج ولو كانت ثخانتهُ على اقلّ ما يتصور كأن يكون $\frac{٥}{١٠٠٠}$ من المليمتر. قال وعليهِ فاذا وُضعت ورقة مطبوعة في علبةٍ على نحو ما مرّ فان حبر الطبع بما فيهِ من السناج لا تخرقهُ الاشعة السوداء وحينئذٍ فيمكن ان تُقرأ الجريدة في الظلام الدامس بان توضع وراء دريئةٍ من كبريتور الزنك وتجعل في خزانةٍ مظلمة وتعرّض لفعل مصباحٍ مقفلٍ عليهِ في علبةٍ من صفائح الحديد والله اعلم

﴿ قوة النبت في الحبوب العاديّة ﴾

وقفنا في احدى المجلاّت العلمية على تقريرٍ في هذا المعنى تلاهُ المسيو غستون بونياي في ندوة العلوم الفرنسوية في جلسة ١١ من هذا الشهر فاحببنا تحصيلهُ لما فيهِ من الفائدة قال

من المشهور ان بزور النبات اذا لبثت محفوظةً من تأثير العوامل الطبيعية الخارجية فان قوّتها على النبت تبقى الى ما شآء الله وزعم بعض الناس انهم قد استنبتوا حبوباً من الحنطة وُجدت في مدافن مصر العاديّة بعد ان لبثت هناك آلافاً من السنين وأيّد هذا القول جماعةٌ من مشاهير النباتيين حتى عمّت شهرتهُ وأُثبت في بعض المؤلفات العلمية الموثوق بصحتها وفيما قررهُ كلود برنار انهُ يعتبر الحبوب بمنزلة جواهر كيماوية قابلة لأن تحفظ قوتها الحيوية مدة قرون

لكن الذي ظهر بالامتحان ان هذا القول لا صحة لهُ وقد امتحن ذلك المسيو غين في حبوب من الحنطة والشعير مما وُجد في المدافن المصرية تاريخها منذ واحد واربعين قرناً وهي مما بعث بهِ اليهِ المسيو مسپرو قيّم دار العاديّات في مصر وبعد تكرار الامتحان لم يحصل منها على نتيجة ولا ظهر لهُ شبه صحة لما يقال ولكن غاية ما هناك ان هذه الحبوب قد حُفظت فيها المادّة الغذآئية والنشآئية واما الجنين الذي هو العضو الجوهري للحياة فقد صار من جملة المومیا ومن المحال ان يعود حياً

ثم ذكر بعد ذلك انهُ بالاشتراك مع المسيو ڤان تيغم بحث في هذه

المسئلة على عدة اوجه ثبت لهما فيها ما حققهُ المسيو غين وذكر من جملة تجاربهما انهما عمدا الى حبة حنطة قديمة مأخوذة من العاديّات المصرية فاستخرجا الجنين الذي فيها وجعلا مكانهُ جنيناً آخر من حبة حنطةٍ جديدة فلم تلبث الحبة ان نبتت واخذت في النموّ . قال على ان المسيو غين قد اختبر حبةً عهدها من خمسين سنة فظهر لهُ ان الجنين فيها قد بدأ يضعف وعليهِ فكل ما يقال من نبت الحبوب القديمة ينبغي ان يُنظَم في جملة الخرافات . انتهى

فوائد

التصوير بالزيت على الزنك — تؤخذ ثلاثة اجزآء متساوية من كلورور النحاس وازوتات النحاس وملح النشادر وتحل في ٦٤ جزءًا من المآء مع اضافة جزء من الحامض الكلوردريك ويُمدّ هذا المحلول على الزنك بشعريةٍ عريضة فتكتسي بهِ الصفيحة اولاً لوناً اسود حالكاً وبعد ان تجف اي بعد ١٢ الى ٢٤ ساعة في الكثير تحول الى لونٍ رماديٍ كَمِد فاذا صوِّر على هذه الطبقة بالالوان الزيتية ثبتت الى ما شآء الله

تلوين النحاس بلون الشبَه (البرُنز) — يتخذ مزيجٌ من المواد الآتية وهي ٢٠ جزءًا من زيت الخروع و ٨٠ من الكحل و ٤٠ من الصابون الاسود و ٤٠ من المآء وبعد ان تنظَّف القطع النحاسية المراد تلوينها تُمَدّ

عليها طبقةٌ من هذا المزيج وتُترك الى الغد ومتى بلغت اللون المطلوب تُمسَح بالنشارة المسخَّنة ثم يُمَدّ عليها طبقةٌ من الطلآء (القرنيش) . واللون يتغير تبعاً للمدة التي تبقى فيها الطبقة المذكورة على القِطَع فيتدرج من لون الشبَه الصافي الى الاخضر القديم

ازالة الصدأ عن الادوات الحديدية — اذا كان الصدأ لا يزول بالفرك تُنقَع القِطَع الصدئة في محلول مُشبَع من كلورور القصدير ومدة الانقاع تكون بين ١٢ و ٢٤ ساعة تبعاً لثخانة طبقة الصدأ وبعد اخراجها من المغطس تُغسَل بالمآء ثم بسائل النشادر وتنشف في الحال .. ولمنع عود الصدأ يكفي ان تُمسَح مسحةً خفيفة بالفازلين

اسئلة واجوبتها

نياغرا فولز — ارجو الاجابة على الاسئلة الآتية

(١) يذهب جماعةٌ من المحققين الى ان اللغة الحبشية فرعٌ من العربية فما قولكم في ذلك . واذا صح هذا الزعم ففي اي زمانٍ اخذ الحبشان في هجر لغتهم الاصلية أقبل الهجرةُ ام بعدها فاننا لا نعلم لهم امتزاجاً بالعرب قبل ان وطئوا اليمن وكان ما كان من امر أبرهة الأشرم .

(٢) الا يوجد كتب في فن السماع العربي سوآء كانت قديمة ام

حديثة وما هو المقصود بقول ابن خلدون من ان المغنّين في ايام الرشيد العباسي اختاروا لهُ مئة صوت في الغنآء

(٣) ما هي درجة لغتنا العربية في سلَّم اللغات وما هي نسبتها الى اليونانية واللاتينية وغيرها من جهة السعة والفصاحة ووجوه التعبير

خليل عساف

المتني

الجواب — اما اللغة الحبشية فلا شك انها من اخوات العربية بل هي اقربهنَّ شبهاً بها وقد وُجد فيها من الخصائص ما لا يوجد الا في العربية كالجمع المكسر والحركات الاعرابية وبعض صيغ الافعال وتصاريفها مما انفردت بهِ العربية عن سائر اخواتها ثم وُجد بعد اكتشاف الخطوط الحِمَيرية باليمن ان الخط الحميري القديم المعروف بالمسند والخط الحبشي شيءٌ واحد ولا فرق بينهما الا ان الحبشي تكتب حروفهُ من اليسار الى اليمين وان الحبشة يزيدون عليهِ رسم الحركات مما لم يكن عند الحميريين وكل ذلك يثبت ان اصل اللغتين واحد وبالتالي ان اصل الامتين واحد . والذي عليهِ اكثر المحققين اليوم ان الحبشة لم يكونوا الا فريقاً من العرب وردوا من جهة اليمن كما يدلّ عليهِ ما بين الفريقين من تشابه الملامح وما يُرى من تماثل الآثار في البلادين . على ان المتقدمين من جغرافيي اليونان كانوا يسمون الحبشة بالعرب او السبئيين اي المنسوبين الى سبأ وهي مدينة مأرب وهو مما يدل على انهم خرجوا من هناك . واما الزمن الذي خرجوا فيهِ فمما لا يسهل تعيينهُ وقد اختلف المؤرخون فيهِ فمنهم من جعلهُ في عهد يشوع بن نون

ومنهم من زعم انهُ بعد عهد سليمان ومنهم من جعلهُ لاوائل عهد التاريخ الميلادي وقيل غير ذلك مما يطول استقرآؤهُ ولا يوقف منهُ على حقيقة

واما فن السماع العربي فلا شك ان المتقدمين كتبوا فيهِ ولكن لم يبلغ الينا من تآليفهم ما يستحق ان يذكر واما المتأخرون فاشهر من ألّف منهم فيهِ الدكتور ميخائيل مشاقة صاحب الرسالة المشهورة المعروفة بالرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية والشيخ شهاب الدين المصري صاحب سفينة الملك وقد طُبعت رسالة الدكتور مشاقة في السنة الماضية في مطبعة المرسلين اليسوعيين في بيروت وسفينة الشيخ شهاب مطبوعة في مصر منذ سنة ١٢٩٤ للهجرة

واما المئة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد فالمقصود بها الالحان التي امر الرشيد باختيارها لهُ من الغنآء المشهور لوقتهِ اختارها لهُ ابرهيم الموصلي واسمعيل بن جامع وفليح بن العورآء وهذه الاصوات هي التي جمعها ابو الفرج الاصفهاني في كتابهِ المشهور بالاغاني وتكلم على كلٍ منها واضاف اليها ما جانسها من سائر الغنآء

واما منزلة العربية من اليونانية واللاتينية وغيرهما من الامهات القديمة فاذا اعتبرنا كلاً من هذه اللغات في عصرها فلا شك ان العربية من اوسعها احاطةً بالمعاني الا ان اتساعها ليس على قدر ما يُتوهم من اتساع معجماتها لان جانباً كبيراً من الفاظها من المترادفِ وهذا انما يفيد اتساعاً في قوالب اللفظ دون التعبير عن المعاني المختلفة التي تعرض للكاتب وجانباً آخر لا يجوز استعمالهُ للبلغآء لخروجهِ عن سَنَن الفصاحة اما بثقلهِ على

اللسان. واما لكراهته في الاذن وكلاهما اشهر من ان ينبَّه عليه واما لاهماله من استعمال جمهور العرب وكل ذلك لا يقلّ عن ثاث اللغة . هذا باعتبار اللغة في نفسها وبالقياس الى زمن واضعيها وعهد اربابها الاولين واما بالقياس الى ايامنا فلا ريب ان العربية تُعَدّ من اضيق اللغات وانكدها واشقّها استعمالاً على الكاتب ومن عانى الكلام في المعاني العصرية تبينت لهُ حقيقة ما نقول . واما فصاحة العربية فاذا اعتبرنا مخارج حروفها بالقياس الى اللغات المشار اليها لم يسعنا ان ننكر ان تلك اسلس لفظاً واكثر قبولاً في السمع لخلوّها من بعض ما في العربية من المقاطع الضخمة والمخارج الشاقة واذا اعتبرنا ابنية الالفاظ واوزانها فلا شك ان العربية افصح لان كلماتها اخف اوزاناً واقصر لفظاً فان اطول كلمةٍ فيها لا تتجاوز ستة احرف اذا كانت فعلاً مثل استغفر ولا سبعةً اذا كانت اسماً مثل استغفار . واما وجوه التعبير فيها فلا يُنكَر انها في غاية الاتساع بما فيها من فنون المجاز والكناية وغيرهما مما لا نظن ان لغةً في الارض تلحقها فيه ولكنها على الجملة تُعَدّ لغةً شعرية لا خطابية بمعنى ان فيها قوّةً على التأثير في نفس المخاطب ولكنها قد تقصر عن تصوير كل ما في نفس المتكلم والله اعلم

آثار ادبيّة

المحاماة — كتابٌ دلّ عنوانهُ على موضوعهِ ألّفهُ حضرة الهمام الفاضل الكاتب الشهير احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الموقرة

ضمّنهُ تاريخ فن المحاماة منذ اول وجودها في المجتمع الانساني وما كان من تنقلها بين الامم القديمة وتدرجها في مراقي الكمال الى ان بلغت الى هذا العهد ثم شرح ما هي عليهِ عند امةٍ امةٍ من امم العصر الحالي وما لها عند كلٍّ منها من المنزلة والاحكام والآداب وافرد للكلام على المحاماة في البلاد المصرية قسماً كبيراً من الكتاب استوفى فيهِ كل ما يتعلق بها من عهد المغفور لهُ محمد علي باشا فذكر مختصر تاريخ القضآء وتأسيس الحكومة المصرية وترتيب الدواوين والمجالس والنظارات الى افتتاح المحاكم الجديدة وهو الزمن الذي استتبّ فيهِ نظام المحاماة فذكر احكامها في هذه الديار وشروط المحامين واحكام التوكيل الى ما يتصل بجميع ذلك ويضاف اليهِ واخيراً ذيّل الكتاب بملحقاتٍ اثبت فيها النصوص التي تمّ بموجبها ترتيب المجالس والدواوين وقوانين الاحكام في عامّة القطر فجآء سفراً جليلاً جامعاً لمهمات هذه الصناعة علماً وعملاً مع فوائد تأريخية يعزّ الظفر بها ولا سيما منقولات السجلاّت المصرية القديمة التي تمثل حالة الحكومة في ذلك العهد مما لم يوضع بين ايدي المطالعين الى هذا اليوم

فنثني على حضرة المؤلف الفاضل اطيب الثنآء لما اطرف بهِ البلاد من هذه الذخيرة النفيسة ونرجو لمؤلَّفهِ جزيل النفع كما نرجو لهُ بهِ جزيل الاجر وجميل الذكر . والكتاب حسن الطبع جيد الورق وهو يشتمل على نحو ٦٥٠ صفحة ويطلب من مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر وثمنهُ اربعون غرشاً مصرياً

فكاهات

صريعا غرام

— ١ —

صديقتي العزيزة

عتبتِ عليّ لانقطاع رسائلي عنكِ ولو علمتِ السبب لعذرتِ ورحمتِ. ولقد شقّ عليّ اتهامكِ اياي بالتحوّل عن عهد ولآئكِ وانتِ ادرى الناس بصدق مودتي ولذلك لم ارَ بدًّا من تسطير هذه الرسالة الطويلة لاطلاعكِ على ما المّ بي من حوادث الزمان لعل قلبكِ الشفيق متى وقف على سرّ المسألة يجد لي عذراً ويكون لي عندكِ شفيعاً

يا رعى الله ايام الطفولية وزمن الحداثة الاولى فقد كنتُ فيها خلية القلب ناعمة البال ولم تكن العصافير اكثر مني تغريداً ولا الفراش اكثر تنقلاً بين الازهار ولم يكن مرور النسيم على وجنات الورد اخفّ وطأةً من خطرات اقدامي في حديقة ربيع هذه الحياة الدنيا . وكنت اخال ان العالم خُلق لاجلي وان الحياة أُعطيت لنا لنتمتّع بمسرّات هذا الوجود ولم احسب الهمّ والحزن والاشجان الا الفاظاً اوجدتها الضرورة في معجمات اللغة لتكمل بها مفرداتها . ولكن الايام علمتني ما لم تعلّمنيهِ المدرسة والزمان استاذٌ قاسٍ لا يلين ولا يرحم فهو يزيد المتعلّم حكمةً واختباراً يبتاعهما بدم قلبهِ ومسرّة فؤادهِ ...

اذا ذكرتِ الحالة التي كنتُ فيها ايام المدرسة ونظرتِ اليَّ الآن وانا اكتب اليكِ هذه الرسالة ودموعي تكاد تمحو سطورها عجبتِ من التغيير العظيم الذي طرأ عليَّ ولو رأيتني اتهادى في مشيتي وانا اتخطر في ارض غرفتي بقدمٍ متثاقلة ورأسٍ مطرق وصدرٍ مضطرب لعلمتِ ان القلب الذي هو مصدر الحياة مصابٌ بعلةٍ لا دوآء لها وان هذه العلة التي تستحثّني الى القبر هي سبب سعادتي واشجاني معاً . ولا اظن انهُ يوجد في هذا الكون الا علة واحدة تجمع بين السعادة والشقآء واللذة والالم والمسرّة والاحزان وهي التي اشكرها واشكوها . فهل عرفتِ ما هي .. يتراءى لي كأنكِ تسخرين مني او تحزنين عليَّ بعد اطلاعكِ على ما تقدم وربما خطر لكِ ان تبعثي اليَّ ببعض النصائح والانذارات كأنكِ تحاولين تبديد همومي او تحويلي عن عزمي فاقول لكِ لا تُتعبي نفسكِ بامورٍ كهذه لاني ولا ازيدكِ بياناً في امري عاشقة متيّمة قد استرقّني الحبّ واستعبدني الهوى فلا تفيد النصيحة شيئاً ولا يدفع العذل مقدوراً ...

جرت عادة الفتيات ان يحاولنَ اخفآء الغرام بزعمهنَّ ان اباحة ما في الفؤاد من اسرار الهيام يحط من كرامتهنَّ اما انا فاحسب ان عملهنَّ رياءً ولستُ اجاريهنَّ فيهِ فاقول ولا اخشى اللوم اني احبّ واني افتخر بحبي . وازيد على ذلك ان الفتى الذي اختارهُ قلبي حبيباً يحبني فوق ما كنت اتوقع وهذا ما يجعلني سعيدةً مغتبطة ويزيدني جلداً على احتمال البلايا التي لا يخلو سبيل الحبّ منها ...

ويلاهُ . كنت اظن ان طريق الحب مفروشة باوراق الازهار

فكأن السائر عليها يتخطر على اسرّة الحرير ولم اعلم ان في تلك الطريق من الوعورة ما يُعيي اعظم الروّاد إقداماً ويستنزف قوى الجبابرة . نعم . ان الحب يزيد المرء تعقلاً ويكسبهُ دربةً لا يعهدها فيهِ وهو خليّ فقد علمت الآن ان لا مسرّة الا مصحوبةٌ بألم ولا راحة الا مقرونةٌ بمشقّة ولا زهرة ورد الا محاطةٌ باشواكٍ حادّة تدمى منها يد حاملها قبل ان يتنعّم باستنشاق ريّاها ...

لا اظنكِ تعرفين حبيبي ولست بذاكرةٍ لكِ اسمهُ فاني لا اطيق ان ارى غير عيني تقرأ حروفهُ ولا غير اذني تسمع لفظهُ . فلستُ ازيدكِ في تعريفهِ على قولي اني احبهُ وانهُ يحبني . وهذا الحب الشديد المتبادَل قد وحّد قلبينا وآمالنا ومقاصدنا وجعلنا نتوقع ضمّ جسمين تجول فيهما حياةٌ واحدة . فنحن نحبّ لاننا نحبّ وليس لحبنا من سببٍ آخر ولا تأثير للجمال والمال والشهرة والصيت وسائر خزعبلات العالم علينا فالحبّ وحّد افكارنا ولذتنا وسعادتنا وهو كل ما نرجوهُ من زماننا ...

قلت لكِ اني سعيدة بهذا الحبّ ولكن هل عرفتِ ان السعادة لا تأتي مجرَّدةً وان الدهر المولع بجمع الاضداد لم يدعنا نجني الزهرة الاولى من ازهار هذه السعادة حتى اصابنا بالمقيم المقعد ورشقنا بنبال المصائب فدسّ في كأس المسرّة سمّ الويل وادار علينا من دموعنا كؤوساً مترعة كانت تزيدنا ظمأً الى الحب كلما شربناها ...

فما سبب حزني واكداري وما الباعث على سكب دموعي .. ان قومي ناقمون عليَّ لاني احبّ ... حبيبي ... وهم لا يرضونهُ لي قريناً بل

يودُّون تزويجي من احد الفتيان الاغنيآء الذي لا احبهُ ولا اقدر البتة ان اميل اليهِ . فما عشقتُ باحشآئهم حتى احبَّ الذي يحبونهُ ولا اعلم كيف يجوز لهم في شرع العدل والحب ان يجعلوا قلبي سلعةً للمعاملة . فانا واقفة في اشد الضيق لاني لا اريد ان أعصي اوليآء امري ويأبى الله ان اخون حبيب قلبي . ولقد ضاع رشادي ولا اعلم كيف اتخلَّص من هذه البليَّة فاني لا اخرج عن رضى قومي ولو فاتني حبيبي ولكني لا اتركهُ ولو اضعت حياتي ...

دخلت عليَّ يوماً عمتي فوجدتني مستخرطة في البكآء فقالت لي كفكفي دموعكِ واصغي لما اقولهُ لكِ . انك تبكينَ وتنوحينَ على بعد ذلك الفتى الذي تودّين الاقتران بهِ ولكنكِ لن تصيري لهُ زوجةً ولو افضى بكِ حبهُ الى التلف وانهُ لأيسر علينا ان نراكِ مدرجةً في الاكفان من ان تكوني لهُ زوجةً . فقلت لها وما السبب في هذا الحنق كلهِ هل اتى زلةً لا تُغتفَر . قالت لا ولكنهُ ليس من ارباب الثروة وفي هذه الايام لا يتزوّج الناس من اجل الحب بل من اجل المال . فقلت لها انا راضية ان اعيش معهُ فقيرة فدعوني وشأني . قالت اخرسي ايتها الغبيَّة فانكِ تجهلين اهمية الثروة . ان الحب وهمٌ لا يلبث ان يزول واما المال فهو اساس السعادة والكرامة والصفآء فلو كان حبيبكِ مثرياً لما وقفنا في سبيل حبكما . قلت لها اني اصبر اذاً الى ان يبتسم لهُ الزمان . فعبست وقالت ان الفتاة لا يليق بها ان تطيل عهد العزوبة فلا بدَّ من زواجكِ بمن اخترناهُ لكِ سوآء رضيتِ بهِ ام لم ترضي ...

فهذه قصتي يا عزيزتي ارويها لكِ وانا عالمة انكِ لا تستطيعين ان تفرجي كربتي وتدفعي همّي ولكني اعلّل النفس بالآمال وأحيا على الرجآء فان لم يسعدني الحظ بالحصول على من احبتهُ نفسي فسابقى كما انا محافظةً على عهد حبهِ الى ان ينقضي اجلي ويكفيني من ذلك ان يعلم اني بقيتُ مخلصةً لهُ واني لم انكث عهدي ولا حنثت بيميني …

والآن استودعكِ الله ايتها الحبيبة وان كان الله قد كتب لي حظاً بالسعادة في هذه الحياة فسأبشركِ بعد حين بزوال كربي وفوز قلبي بحبيبهِ والا فابكي عليَّ وقولي عني « عاشت للحبّ وماتت بهِ »

اليا نورا

— ٢ —

ايها الصديق الصدوق

خلّ نصحك لغيري فلا يفيد النصح في من اصمّ اذنيهِ عن سماعهِ واعلم ان فؤادي قد خُلق للحبّ فالحب ألزم لحياتي من الدم لعروقي والهوآءِ لرئتيَّ فاذا زال من مسكنهِ زالت حياتي . ولقد لقيت من الحب ما لم يلقهُ احد فلم اتمتع بلذةٍ الا كان الحب مصدرها ولم تنلني بليّة الا رجعت في استقرآء سببها الى الحب فهو نعيم حياتي وجحيمها

لقد عذلتني على استسلامي للحب وحاولت ان تثير في صدري عاصفة النخوة وتبغّض اليَّ آل الحبيب بما كتبت اليَّ عن شدة تحاملهم عليَّ وتصميمهم على مناوأتي وابعادي ولكنك لم تعلم ان آل الحبيب هم احبائي

وان الحب قد خالط كل قطرةٍ من دمي وكل نسمةٍ من انفاسي فلم يُبقِ فيَّ موضعاً للبغض حتى لقد يهون عليَّ ان ابذل وجودي في سبيل الحب لاني اعتمد ان الحب الصحيح الخالص هو ما ملأ الجوارح وغلب على الحواسّ وكان غاية ما ترجوهُ النفس ومنتهى ما تطلبهُ الاماني . وانا لشدة حبي اتيه في مجاهل الفكر فلا يتمثل على صفحة خيالي الا الفتاة التي هي عندي كل ما في العالم من سعادة ومسرّة وغنى وكل ما سواها من اشباح الخلائق يمرّ امام ناظري كما يمرّ الظلّ على الارض فلا يؤثر فيها ولا تشعر بفراقهِ اذا اوحشها

لقد حرّموا عليَّ زيارتها وحالوا بين رسائلي وبينها وقطعوا كل سببٍ يصل بين شخصينا وفي زعمهم ان القطيعة تصرم حبال الحب وان الهجر يعلّم الوفيَّ الخيانة وقد جهلوا ان ليس في هذا الكون اسوارٌ تعترض في سبيل الحب لانهُ يملأ المسكونة فلا يقدر احدٌ ان يحجر عليهِ ولانهُ ليس بمادّةٍ فيتقيَّد فهو حيٌّ في الهجر واللقآء متوفرٌ في البعد والقرب فلا بُعد المزار يفنيهِ ولا انقطاع المواصلة يلاشيهِ والحب الذي تميتهُ امثال هذه العوائق لا يكون حباً حقيقياً بل يكون حدَثاً من احداث الشهوة مماثلاً البرق في شدة وميضهِ وسرعة اختفآئهِ

ولقد وددتُ لو استطعتُ ان اذعن لمشورتك واترك هذا الحب الذي اذاب جسمي وألبسني الضنى والنحول ولكن ليس ذلك في طاقة يدي . فانا باقٍ على عهد ولانّي صابرٌ على النوائب الى ان يشرق كوكب سعدي فيبدّد غياهب النحوس او الى ان تنضب آخر قطرةٍ من دمآئي فاموت على

الحبّ الذي نشأتُ عليهِ وحييت لهُ ٠ والمرء يفني العمر املاً ولا يزال يعلل النفس بالمنى لان الامل اعظم تعزيةٍ واكبر سلوةٍ فلا تجرّدني من هذه النعمة الاخيرة لان الحياة بلا امل اصعب من الموت

لقد حاولتَ في كتابك ان تريبني في صدق مودّة مالكتي ولولا يقيني بصدق ودادك واخلاصك لاثرت من سخطي عليك جيشاً يهدم كل ما بنيناهُ من صروح الولآء السابق ٠ فحذارِ من العود الى مثل هذا الكلام فانك لو عرفت حبيبتي لعلمت انها تختار الموت على الحنث بيمينها ٠ فانا واثقٌ بوفآئها عالمٌ بشدة حبها لي موقنٌ انهُ لا توجد قوة بشرية تستطيع ان تنزع من قلبينا الحب الذي يشعر بهِ الواحد منا للآخر ٠ فنحن سعيدان بهذا الحب ناعما البال من هذا القبيل ولكن الذي يسوءنا مناوأة قومها لنا ورغبتهم في كسر قيود الحب التي ارتبطت بها قلوبنا غير عالمين ان بكسرها اهلاك قلبين صيَّرهما الحب واحداً

ولست استطيع ان اكتب اليك زيادة على ما كتبت لاني لا اجسر ان اطلق لقلمي العنان لئلا يجمح بي ويدفعني الى كتابة ما لا اودّ ان ابوح بهِ الآن ولكني ازيدك على ما تقدم ان اليأس قد بلغ مني وان الغمّ قد انحل بدني والوجد احرق فؤادي فان لم يأتنا فرجٌ قريب لم أُلبث ان اقول على الدنيا السلام

أُؤمل وصلاً من حبيبٍ وانني ... على ثقةٍ عما قليلٍ افارقهْ
تَجارَى بنا خيل الحِمام كانما ... يسابقني نحو الردى واسابقهْ
فياليتنا متنا صغاراً فلم يذق ... مرارَةَ فقدي لا ولا انا ذائقهْ

وفي الختام انصح لك ان تصون فؤادك من الحبّ الا اذا اردت ان تذوق الموت كل يوم كما يذوقهُ المحبون الاشقيآء والسلام عليك من محبك

ارنست

— ٣ —

قال الراوي

دفعتني الرغبة بعد اطلاعي على الرسالتين المار ذكرهما الى البحث عما جرى لهذين العاشقين وبعد ايام ناولني محدثي رسالتين اخريين فنشرت الاولى وقرأت فيها ما يأتي

حبيبي ارنست

انقطعت رسائلي عنك هذه المدة من الزمان اضطراراً للامر الذي تعلمهُ وكان في ظني ان انقطاعي عن مكاتبتك يؤول الى نزع حبي من قلبك وقلت في نفسي لعلهُ يسلوني ويستريح من عذاب الهجر . على اني في الوقت نفسهِ لم افتر عن السعي في استعطاف الخواطر النافرة وتليين القلوب القاسية ولكن على غير جدوى الى ان بلغ مني اليأس واستولى عليَّ الارق والنحول ثم علمت ان هذا الانقطاع لم يزدك الا شغفاً وسقماً فكان ذلك مما زاد شجني وبلبالي حتى مرضت ولزمت الفراش اسبوعين لا انهض من مكاني ولا اكاد اعي ما حولي ولم يكن ذكرك يفارق فمي ولا خيالك يغيب عن ناظري . ولما رأت عمتي ما آل اليهِ امري رقّت لحالي وكلّمت والدي في شأني وقد جآءتني اليوم فبشرتني باعلان رضاهُ عن حبنا ورحمتهِ

لفؤادينا ولذلك بادرت الى كتابة هذه الكلمات ابشرك بها ان نجم سعدنا قد آذن بالطلوع وان حبيبتك التي لم تنسَ حبك لحظةً لا تزال امينةً في حبها لك وهي تنتظر زيارتك بكل اشتياق لتضع يدها في يدك وتنسى كل ما قاست من الآلام الماضية اليانورا

وهذا ما جاء في الرسالة الثانية

حبيبتي اليانورا

ان رسالتكِ اللطيفة قد انتشلتني من القبر الذي كنت على شرف الوصول اليهِ واني لم تخامرني ادنى شبهةٍ قط في صدق ولائكِ ولم يكن عندي شك في ان الحبّ الطاهر يسود ويفوز على جميع العوائق . وهاءنذا آتٍ اليكِ بقلبٍ قد تجددت حياتهُ وصدرٍ يطفح مسرّةً وحبوراً لأمحو بقبلةٍ واحدة كل ما تركهُ البعاد من الشقآء والآلام فلتباركك السماء يا مالكة قلب محبكِ واسيركِ

ارنست

وكانت خاتمة هذه الرواية ان مرارة الصبر عقبتها حلاوة الفوز وغزت طلائع الحب جيوش الشقاق ودُفنت التذكارات المؤلمة في قبر النسيان وضفرت السعادة على رأس الحبيبين اكليل الغبطة والهناء

اذا لم تذق في هذه الدار صبوةً فموتك فيها والحياة سوآءُ

م * ن ...